

شَبام

اليمن السعيد: قصة سياحة

< حضرموت - خالد الضبابي

منذ سنين طويلة، ربما منذ سن الطفولة، وأنا أسمع الكثير من الحكايات والأحاديث التي تتردد بين الناس حول مدينة "شَبام حضرموت" وتاريخها العريق، وجمالها الأخاذ. لهذا السبب، راودني الحلم كثيرا لزيارتها والتعرف عن قرب على كل محتوياتها.



A night view

منظر ليلي



General view

منظر عام



Elaborated gate

بوابة جميلة

الإسلامية نصيب بارز. فقد تشرفت المدينة بنزول الصحابي الجليل زياد بن لبيد الأنصاري. عامل رسول الله (ص) على حضرموت فكانت مدينة شبام هي إحدى المدينتين اللتين سكنهما والأخرى هي مدينة تريم.

البناء في مدينة شبام

عند تتبع تاريخ هذه المدينة في المراجع والكتب، اتضح لنا أنه في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري بدأ المهندس المعماري الحضرمي يفكر بل ويعمل ليل نهار من أجل بناء مدينة لا تزيد مساحتها عن 350,000 متر مربع وهي بالتقريب مساحتها الحالية. فلم يكن أمام هذا المهندس العبقري حقا إلا التأمل في الفضاء والذي وجد فيه مجالا عموديا للبناء. فتم إعمار هذه المدينة بطبقات متعددة حتى أصبحت المدينة تضم 500 منزل يتراوح ارتفاع مبانيها من 25 - 30 لكل بناية. وعدد طوابقها يتراوح بين 5 - 6 طوابق. وهي تضم بين أركانها الجميلة والمتداخلة العديد من المساجد والمدارس الدينية والأسواق الشعبية المتناثرة هنا وهناك. ◀

ار في مخيلتي. قبل الوصول إليها. العديد من التساؤلات حول هذه المدينة وتاريخها الموهل في القدم. وهي من المدن القليلة التي حظيت باهتمام من قبل منظمة اليونسكو. فاعتبرتها من مدن التراث العالمي. ويسميتها السياح العرب "أقدم ناطحات سحاب في العالم". فكل هذه التسميات لا تذهب بعيدا عن واقع وحال هذه المدينة. فقد بنيت قبل أن يبني الأمريكيون نيويورك بمئات السنين. كما أن ناطحات السحاب الحالية. في أي بقعة من بقاع العالم. تبنى من مادة الاسمنت والحديد. ولكن شبام حضرموت كانت ولا تزال تتباهى منذ القدم بأن ناطحات السحاب فيها تبنى من مادة الطين الخالص! وبقيت صامدة في وجه الدهر. إنها تبدو وكأنها مارد جبار ظهر فجأة بين رمال صحراء حضرموت. وأسر الكثير من زارها. فأجبرهم على حبها والتغني بها. فكان الألماني ليو هرش أول الأوروبيين الذين زاروها في العام 1893. كما زارها المستشرق الإنجليزي الدكتور سرجنت. الذي أرسلته جامعة لندن لدراسة الشعر العامي في حضرموت سنة 1947 م وآخرون.

ربوة صغيرة تقف أمامنا بكل شموخ. أجبرتنا على الصعود إليها. لنتمكن من التمتع بمنظر المدينة الجميل خصوصا في لحظات ما قبل الغروب. انشغل كل أصدقائي بالمزاح والنقاط الصور. بينما انضرت أنا بزواية أتفكر في موقع المدينة في قلب وادي حضرموت. ذلك الوادي المبارك الذي أطلق عليه "وادي الأحقاف" نظرا لقربه من أحقاف الرمل - منازل عاد الأولى الذين ورد ذكرهم في القران الكريم- (وَأذْكُرْ أَهْلَ عَادِ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ بِالْأَحْقَافِ) (سورة الأحقاف. الآية 21). كما أن موقعها الفريد يدل دلالة واضحة على أن من أسسوها كانوا على دراية تامة بأهمية موقعها. فكانت بحق عاصمة الوادي. وملتقى القوافل الحاملة بثروات ذلك الزمان من البخور واللبان والمر والصبر ومختلف أنواع البضائع القادمة من الشرق. من ظفار أرض اللبان ومن الشحر الميناء القديم لحضرموت والذي تجلب إليه بضائع الهند والصين ومنه إلى مدينة شبام وشبوة عاصمة مملكة حضرموت ومأرب عاصمة السبئيين ثم إلى مصر أو الشام. وعندما بزغ فجر الإسلام كان لأهل شبام الحظ الأوفى ولهم في الفتوح



◀ عندما بزغ فجر الإسلام كان لأهل شبام الحظ الأوفى ولهم في الفتوح الإسلامية نصيب بارز. فقد تشرفت المدينة بنزول الصحابي الجليل زياد بن لبيد الأنصاري. ◀

” وفي الختام نقول إن مدينة
شباب حضرموت هي أثر فريد
لأقدم ناطحات سحاب طينية
في العالم وأجمل مدينة في
اليمن السعيد وذات هندسة
معمارية فريدة وفن بديع.“



Building work

عملية البناء



A celebration

احتفال



Rich date palm groves

النخيل

وتتخصص في بيع أجود أنواع البخور. كما أن رائحة الخبز تأخذ موقعا آخر من المدينة، خصوصا وقت الظهيرة، وهي تقودك لاكتشاف مكونات المائدة الشبامية وطرق إعدادها. رائحة زكية لخبز يعدّه خباز ماهر يرحّب بك على الدوام، بابتسامته الخالية من الشوائب، فيضطرك إلى أن تكون واحدا من زبائنه، فتفتش الأرض وجلس على الحصير وأمامك سفرة من الحصير، ويقدم خبزه على صحن من حصير أيضا (مصنوع من سعف النخيل) ثم يقدم لك كوبا من القهوة الشبامية الأصيلة. بساطة في المعيشة مع فن البناء الذي يزينه تواضع وحلم وكرم. وفي الختام نقول إن مدينة شباب حضرموت هي أثر فريد لأقدم ناطحات سحاب طينية في العالم وأجمل مدينة في اليمن السعيد وذات هندسة معمارية فريدة وفن بديع. إنها تستحق، وعن جدارة، زيارة السائح الأوروبي والزائر العربي وكل مهتم من العالم الإسلامي بالآثار والتاريخ، كما يشرفني جدا في ختام هذا الاستطلاع أن أسجل جل تقديري للأستاذ عبدالله الكاف الذي بذل جهدا لأبأس به في تزويدي بالمعلومات التاريخية وتسهيل مهمتي في البحث والاطلاع عن هذه المدينة وتاريخها العريق. ■

يحيط بالمدينة سور دائري مرتفع عن الوادي بحوالي من 7-9 م مبني من الطوب. استخدم هذا السور كوسيلة دفاعية عن المدينة على مر العصور. ويوجد بهذا السور بوابتان، بوابة رئيسية تتصل مباشرة بفناء داخلي كبير يعتبر من الساحات الرئيسية للمدينة، تقف فيه سيارات الزوار، وفي نفس الوقت يعدّ هذا الموضع، مكانا مناسباً لتبادل الحديث والنكات مع أبناء مدينة شباب، خصوصا بعد صلاة العصر، حيث يتجمع الشباميون في هذه المساحة فيتبادلون الأحاديث والتي لا تخلو غالبا من أخبار السياسة والاقتصاد والعلم والفن والثقافة والدين، وهو مكان مناسب أيضا لتناول كوب من الشاي الشبامي المنعش، كما ستجدها فرصة للتسوق في هذا المكان حيث تتوزع المحلات التجارية الصغيرة على جانبي هذا المكان والتي غالبا ما تعرض ما تنتجه هذه المدينة من الغلال واللحوم ومنتجات المزارع الشبامية وبعض من المشغولات اليدوية والحرفية، وهي غالبا ما تباع بأسعار رخيصة للزوار. وعند التجول بين أزقة هذه المدينة الخالدة، تصلك رائحة البخور الزكية، فنكتشف أن مصدرها محلات صغيرة تتوزع بين أزقة المدينة



A mosque

المسجد